



سومرست موم في التسعين

بالمغامرة والتجربة والمجد . وقد سجل الكثير منها في كتابه « الخلاصة » الذي نشر منذ سنوات . غير أنه لم يكن يقصد من « الخلاصة » الترجمة لحياته ترجمة ذاتية بالمعنى المفهوم ، وإنما قصد به أن يشمل القضايا الفكرية والفنية التي شغلته طوال حياته . ومن ثمة فهو لا يقف كثيرا أمام نشأته وسنواته الأولى ، وإن كان يذكر أنه فقد أبويه في سن الطفولة ، وأن أسرته احترفت القانون والمحاماة أكثر من قرن كامل ، وأن عمه - الذي كلفه بعد وفاة أبيه - أراد له أن ينخرط في سلك الكنيسة ، لكنه رفض ، فكان أن اختاروا له دراسة الطب التي لم تكن تروق له في قليل أو كثير .

أما الذي راقه وملك عليه اهتمامه منذ طفولته فهو الكتب والقراءة التي وجد فيها راحة وتمعنة كالتى يجدها البعض في لعب الورق . فقد عكف على الكتب يلتمسها التهاما . . وبعد فترة أحس برغبة تدفعه الى الكتابة ، فبدأ بمعالجة المسرحية عام ١٨٩٨ ، إذ خيل إليه في تلك الفترة أن كتابة الحوار

لعل الشيخوخة هي أقصى مرحلة في حياة المرء ، بل لعل هذه القسوة تزداد حدة كلما كان المرء فنانا أو كاتباً أو شاعراً ، أو مشتغلاً بعمل آخر من أعمال الذهن . وكثيرون من الفنانين والكتاب والشعراء مروا بهذه المرحلة ، لكن القليل منهم من سلم من هواجسها وويلاتها .

ولعل الكاتب القصصي سومرست موم من هذا القليل الذى يحاول أن يستمتع بشيخوخته ، وإن ينسى أنه شيخ طاعن في السن . ومع هذا فإن للسن حكماً كما يقولون ، فقد احتفل بعيد ميلاده التسعين في الخامس والعشرين من يناير الماضى ، لكن احداً من زائريه لم تفته ملاحظة ما اعتراه من وهن عام وضعف في السمع والذاكرة على السواء ، كما سنتبين بعد قليل من التحقيق الذى كتبه الصحفى الانجليزى ستيفن كولتر ونشرته جريدة « دى صنديك تايمز » .

وحياة سومرست موم سجل حافل

يسر من كتابة الموضوع الانشائي .
 وفي الفترة الواقعة بين عامي ١٨٩٨ ،
 ١٩١٤ كان قد كتب عشر مسرحيات
 لم تلق من النجاح ما كان يرجوه لها
 فقد هاجمه النقاد ولقى اعراض بعض
 اصحاب المسارح ، فكان أن كف نهائيا
 عام ١٩٢٣ عن الكتابة للمسرح . ثم
 اتجه الى القصة متأثرا في البداية
 بالكاتب الفرنسي جى دى موباسان
 الذى قرا له في السادسة عشرة من
 عمره . لكنه - اى موم - يعترف بأنه
 اخفق في بعض قصصه ، معللا ذلك
 بظروفه المادية الشاقة التى كانت تحتتم
 عليه في بدء حياته أن يكتب ليعيش ،
 وأن ينشر لياكل ويشرب .

ولا ينسى موم في حديثه عن قضايا
 الفن القصصى أن يذكر ملاحظة جديرة
 بالاهتمام تتعلق بكتابة القصص
 التاريخية . فهو يحذر الكتاب الشبان
 من الخوض في مثل هذه الموضوعات
 التى تتطلب دراية وخبرة لا تتوفران
 الا فيمن تقدم في السن وحنكته
 التجارب ، لكنه يصرح للشبان بأن
 يكتبوا عن أشخاص أو أماكن لمسوها
 وعرفوها عن قرب !..

وتعرض موم للقصة القصيرة في كتابه
 القيم هذا فقال : انه لا يفالى اذا قال
 ان ساعة من الوقت يقضيها مع أى
 شخص تكفى لأن تلهمه موضوع
 اقصوصة كاملة . ومن ثم فهو يعجب
 لأن كثيرين من الكتاب يجهدون أنفسهم
 في هذا السبيل بلا داع . ثم تحدث
 عن اتجاهه ومنهجه في كتابة القصة
 القصيرة فقال :

« لعله من سوء الحظ أن أكتب
 هذه الأقاصيص على طريقتى الخاصة

في الوقت الذى كان فيه كبار الكتاب
 في إنجلترا يكتبون على طريقة تشيكوف .
 والحقيقة أن تشيكوف كاتب قصة
 ممتاز ، لكنه لم يكن معصوما عن الخطأ .
 ولقد فشل مقعدوه في استيعاء
 خاصيته البارزة في أقاصيصه ، وأغنى
 خاصية الغموض وعدم الاكتران .
 غير أن الأقصوصة عندى هى موضوع
 واحد محبوب ، ذو بداية ونهاية . ولعل
 هذا كان السبب في أن فرنسا قدرت
 أقاصيصى أكثر مما قدرتها إنجلترا » .
 وسومرست موم مولع بالأسفار منذ
 صغره . فهو يذكر كيف أنه أعد برنامجا
 ضخما لتعلم اللغات الأسبانية والإيطالية
 واليونانية القديمة والعربية كى يقرأ
 امهات الكتب في كل منها ، وكيف أنه
 كان يرجو انفسه أن يقيم في القاهرة
 زمنا حتى يتمكن من اللغة العربية
 ليقرأ بها كتاب « الف ليلة وليلة »
 الذى قراه مترجما وأعجب به . وقد
 أفادته هذه الأسفار رغم ما اعترضه
 - في كثير منها - من أخطار ومتاعب .
 لكنه يعترف انها جعلت منه رجلا
 آخر وعلمته التسامح والاحتمال
 واستقلال النفس ، كما أمدته جادة
 قصصه ، وهى مادة غزيرة لا يعدم
 القارئ لها أن يجد ظلالات كثيفة من
 إيطاليا وأسبانيا وأمريكا والصين
 وبورما والهند وجزر الباسفيك وغيرها
 من البقاع التى زارها موم واقام بها .
 ولوم - عدا مقالاته ودراساته
 الكثيرة - ثلاث مجلدات من القصص
 القصيرة ، ونحو ١٢ رواية أشهرها :
 « ليزا أوف لامبث » ، « الرق البشرى » ،
 « حد موسى » ، « القمر وسست
 بنسات » ، وكذلك أربع مسرحيات

مشهورة منها : « الرسالة » ،
« الدائرة » .

نعود بعد هذا التحقيق المسهب
الذي كتبه ستيفن كولتر اثر زيارته
لفيلا ماركيز التي تطل على الريفيرا
الفرنسية ، حيث يقيم الآن الكاتب
الشيخ ، وحيث يقضى هذا الشتاء لأول
مرة في حياته . وفي هذا التحقيق
صورة حية لمرحلة الشيخوخة كما يمر
بها كاتب معمر ذاع صيته في العالم
منذ نصف قرن ، وبيع من كتبه حتى
الآن اكثر من أربعين مليون نسخة .

وننقل لك فيما يلي نص حديث
كولتر مع شيء من الاختصار :

« يقضى موم هذا الشتاء لأول مرة
في حياته بفيلا ماركيز على شاطئ
الريفيرا الفرنسية ، حيث اعتاد أن
يجلس في غرفة الاستقبال الرئيسية
على أريكة كبيرة خضراء اللون ، وقد
تغضن وجهه وحفل بالتجاعيد ، بينما
ترسم على شفتيه ابتسامة توحى
للناظر بأنه امام رجل شرقي معمر ،
ولا غرو فروح الشرق متغلغلة في موم .
وقد حل عيد ميلاده التسعين وراح
يستقبل زواره ومهنييه ويقدم اليهم
يده على الطريقة الفرنسية ، ويحجل
بعض الشيء حين يمشى ، لكنه لا يتوكأ
على عصا . وهو يرتدى سترة قديمة
بنية اللون مما يستعمله الرياضيون ،
وينظفون من الغائلة ، وتنسدل حول
عنقه كوفية حمراء ، تلمح تحتها
قميصا بلا ياقة ، لكنه اعتاد أن يغير
ملابسه وقت تناول الطعام .

ورغم أن موم في التسعين الا انه
يبدو رجلا حساسا لم يفقد ذكائه او

مرحه او اعتداده بنفسه . وهو يبذل
كل ما بوسعه حتى لا يخيب ظن
زواره . كما انه لم يزل يرد على . . .
خطاب في الاسبوع من قرائه في جميع
أنحاء العالم - واكثرهم من الشبان -
يتولى هو بنفسه التوقيع عليها .

وقد تحدثت معه عن أسفاره التي
قام بها في أوروبا في الصيف الماضي ،
وفجأة قال متعجبا :

« لكنني أحب الشرق . اننى لا
أستريح ولا أتعاف الا حين آتون في
الشرق . وأشياء الوحيده الذي يهمنى
من أن آكون هناك الآن هو اننى . . . في
الستين . . . »

وعندئذ تلثم الرجل فصاح آلان
سيرل صديقه ورفيق حياته :
« . . . التسعين »

فقال موم : « . . . التسعين . . .
ثمة أماكن أحب الإقامة فيها ، وأعرف
اننى لو فعلت وذهبت اليها سأموت . .
أريد أن أذهب الى كبرى لاننى بدأت
حياتى هناك . . ان أطبائى يقولون :
اذا أردت أن تذهب فاك ما شئت
اسكنك لن تعود . . ياله من موقف
صعب ! » .

قلت ان من العجيب ان أسمع رجلا
في التسعين يظل راغبا في أن يفعل هذا
وذاك ، فضحك موم قائلا :

« لكننى سعيد اذ رأيت كل هاتيك
الأمم منذ ستين عاما . . لقد طغت
بالعالم كله ، وأتقد كان الناس في جميع
أنحاء العالم يبذلون كل ما بوسههم
كى يجعلوا الحياة هنيئة من أجلى . .
وعندئذ تحشرج صوته وبدا مؤثرا . .

محاولاً أن يتمالك نفسه حتى تزول
التأناة . ثم قال : « ... وحيدا » .
وهو يخشى ثلاثة حروف لا يجيد النطق
بها وهي : اللام والميم والباء المشددة .
ثم استطرد قائلاً :

« لقد كانت تاتاني تعذبني طوال
حياتي . أنت لا تدري كم من القصص
حبستها في نفسي لأنني خشيت أن
تفهمها تاتاني ! »

.. ثم سأله عن رأيه في حياته ،
وهل تمكن من السيطرة على مصيره
أم لا ، وعندئذ نظر الى وقال بحماس :

« أوه ، لا - أوه ، لا - أوه ، لا .
كأن كل ما في حياتي من باب القسمة
والنصيب . لقد لعب الحظ دورا
عظيما في حياتي ، خيرا وشرا ! »

وعقب سيرل بقوله : « انه يقول انه
كأن يرتكب الخطأ تلو الخطأ » . فقال
موم : « لا أستطيع أن أسمع . فهو يعرف
عنى أكثر مما أعرف »

وعندئذ اشرق وجهه .

ان ضعف سمعه يغمه ويحزنه .
فهو قد جمع ثروة كبيرة عن طريق
السمع . وهو مصاب أيضا بضعف
الذاكرة . فانت اذا ذكرت له قصة من
تأليفه الآن تساءل وقال : « لا ادري
ما تقول .. ماذا تقصد ؟ » - فهو
يسأل سيرل مثلا :

« متى كتبت قصة الامطار يا الان ؟ »

وقد ذكر الان في معرض حديثه عن
صديقه انه أصبح موضوع عسدد من
الدراسات الجامعية ، وأن عدة درجات
علمية منحت لدراسات عنه في جامعة
طوكيو وييل وهارفارد . ثم روى نادرة

وحين سأله عن اى مؤلفاته يريد
ان يذكره الناس به ، قال : « كعك
وخمر »

قلت : لماذا هذا الكتاب ؟

قال : لأننى استمتعت بكتابتها
تلغاية .

.. كانت الحجرة الكبيرة في فيللا
ماركيز عامرة بالشمس ، وبأشياء
أخرى بديعة ، منها ساعات اثرية
وطيور من الصين اليابان ومخمل من
جنوا وصقر ضخمة يقف على المدفأة
وسجاد من الاوبيسون مفروش على
الارض .. وفي هذه الحجرة يقضى موم
معظم وقته . ويومه بسيط . ففي
الثامنة يحتسى القهوة في السرير ، ثم
يتمشى في الحديقة اذا كان الجو ملائما ،
كما انه يحب المطالمة في الصباح . وقد
اعتاد ان يشرب كأسا من الويسكى في
الحادية عشرة ، واخرى من المارتيني
« نوع من البراندى » قبل الغداء .
ثم ينام بعد تناول الغداء ويستيقظ
بعد الظهر ، ويخرج للتريض ، ثم يعود
فيقرأ مرة اخرى حتى السادسة
مساء ، ويتناول كأسا اخرى من
الويسكى ، ثم يتعشى مبكرا ، وما أن
تحل الساعة الثامنة والنصف حتى
يكون في سريره .

سألت موم عن الكاتب الذى امتعه
كثيرا فى شيخوخته ، فقال :

« جوته ، أوه ، نعم ، بالألمانية .
لقد تعلمت الألمانية في هيدلبرج . فقد
ذهبت الى هناك حين مات أبواى وكنت
و . . . و . . . »

وعندئذ تعثر لسانه ، ورفع ذقنه

بينما كان موم ينظر اليه في شفاف وهو ينهض ويمسك عنقه . ثم جلس وأخذ الى الصمت . وكان يبدو أنه نسينا تماما . ولعله كان يسترجع أمرا قديما غاب عنه . وبعد برهة عاد فابتسم قائلا :

« آه لو تحقق لي ما أرجوه ودفنت بكانتري ، عندئذ سأكون سعيدا غاية السعادة » .

وبهذه العبارة انهى الصحفي الانجليزي تحقيقه الذي حاول ان يرسم فيه صورة لشيخوخة رجل شغل عالم الأدب - وما يزال - بشراء انتاجه وتنوعه . لكن ، هل روت الأعوام التسعون ظمأ موم ؟ .. لقد اجاب هو نفسه من قبل في خاتمة كتابه السابق بقوله :

« لا أود أن أعيش حياتي مرة ثانية ، فقد شقيت فيها أكثر مما سعدت » !

ضحك لها موم ، وملخصها أن امرأة التقت بموم ذات مرة في مصعد ، فقالت له : « أنت سسومرست موم » ، أنى أعرفك من صورتك » فقال موم : « أرجو أن أكون أحسن مما عليه في الصور » . وعندئذ قالت المرأة : « اوه ، لا ، أنك أسوأ » !

.. وبعد فترة قال موم فجأة :

« سأنتنى الآن أين أريد أن أدفن . واقول لك انى أريد أن أدفن في كانتري » (الكاتدرائية المشهورة) وعندئذ استدار الان سيرل ناحيتى قائلا : « لا أدري ما السبب ، فهناك قضى صباه ولم ينعم بالسعادة » واستطرد موم : « لكن أحدهم اعترض على أن أدفن هناك » .

وعندئذ تدخل سيرل ونفى واقعة الاعتراض ، لكن موم ظل متشككا برهة ، ثم قال متسائلا : « أمتأكد أنت يا الان ؟ » . واجاب سيرل بالاجاب ،

زوايا وانباء :

اخلاقى . لكنه مع ذلك كله عاش زمنا غير معترف به . فقد هاجمه النقاد في هذا القرن هجوما عنيفا ، وأسقطه البعض من عداد الكتاب ذوى المستوى الأدبى الرفيع والأسلوب الجزل الرصين ، بدعوى أنه مسف في واقعيته، وأن أسلوبه حفل بالسوقية والابتذال .

ومنذ أسابيع قام جيوفرى تيلوتسن بالاشتراك مع زوجته باعادة طبع رواية

● وليم ماكبيس تاكرى (١٨١١ - ١٨٦٣) من كبار كتاب القصة الانجليزية في القرن الماضى . . قالت عنه زميائه الروائية جورج اليوت عام ١٨٥٧ انه من أعظم الروائيين في قصرها . وقد كان اول روائى انجليزى يتسائر بيلزك ويحتذى طريقته في الكتابة ، اذ يصور الحياة الاجتماعية في عصره بطريقة واقعية مفصلة ، وكان يعتبر فن القصة متعة شعبية ينبغى أن تكون ذات مغزى

((قضية خاسرة)) . أما زميله أنجوس ويلسون فلم يضع بعد عنوان روايته الجديدة التي يكتبها الآن ، لكنه يقول انها تدور حول فكرة الانحلال وتأثيره على امرأة نشأت وتربت في الريف ثم انتقلت لتعيش في المدينة .

● **السرائى** . . عنوان رواية جديدة صدرت للكاتب الفرنسى كلود سيمون الذى يعده بعض النقاد أعظم موهبة قصصية ظهرت في فرنسا بعد الحرب الأخيرة . وقد أصدر من قبل روايتين ، أما « السراى » فتدور أحداثها في اسبانيا .

● **لم تكذب بريطانيا تفرغ من فضيحة** عام ١٩٦٣ التى راح ضحيتها عدد من الساسة والوزراء حتى صدرت للكاتب بول جونسون رواية جديدة عن دار مالك جيبون بعنوان: «انجلترا الطروب» ، وقد تناول فيها موضوعاً مشابهاً لموضوع كريستين كيار .

● **صدرت** عن دار الدولة لنشر القصة والشعر في موسكو العدد الخامس من مجموعة « منتخب الشرق » ، ويضم قصصاً وروايات وقصائد لواحد وعشرين أديباً من مختلف أقطار آسيا وأفريقيا ، ومن بينها الجمهورية العربية المتحدة وسوريا وأندونيسيا .

● **في العدد الأخير من مجلة « الأدب السوفييتى »** مجموعة لم يسبق نشرها من الرسائل الخاصة التى كان الكاتب القصصى مكسيم جوركى يتبادلها مع زملائه من الكتاب . وقد ذكر المحرر في تقديمه للرسائل أن جوركى خلف

ناكرى المعروفة : « سوق التباهى » ، وزودها بالرسوم والشروح والصور ، وصدرها بمقدمة طويلة ، كما نقحها أسلوبها . وقد صدرت هذه الطبعة عن دار ميثون للنشر التى صدر عنها أيضاً كتاب بعنوان : « ناكرى الروائى » استقل بتأليفه تيلوتسن .

● **صدرت** عن دار كاب المجموعة الكاملة لقصص وروايات الكاتبة الأمريكية كاترين آن بورثر . وقد ولدت كاترين عام ١٨٩٤ بولاية تكساس ، وعملت بالصحافة والتدريس ، كما قامت بسياحة طويلة في أمريكا والمكسيك وأوروبا خرجت منها بعدد من القصص والمقالات .

ولكاترين أسلوب خاص في كتابة القصة يميزها من معاصريها كهمنجواى وفوكنر وفرجينيا وولف . وقد لخصت مذهبها في الكتابة بقولها :

« ان أى عمل فنى حقيقى ينبغى أن يكسبك الاحساس بالمهانة ، وطهارة عقلك وخيالك ، ولا يتأتى ذلك الا من خلال نهاية تكون محتملة الوقوع والتصديق . . . ولست أبداً قصة لا أعرف نهايتها . فانا دائماً أبداً بكتابة السطور الأخيرة او الفقرة الأخيرة او الصفحة الأخيرة ، ثم أعود الى البداية فأكتبها . اننى أعرف الى أين اذهب . . . أعرف هدفى . أما طريقة الوصول الى هذا الهدف فهى من فضل الله على . » !

● **صرح** الروائى الانجليزى جراهام جرين بأنه مشغول الآن بكتابة رواية تدور أحداثها في الكونغو وهائيتى ، وقد فرغ من اختيار عنوان لها ، وهو

مجموعة قصصية بعنوان : « احسن القصص القصيرة في أمريكا » ، وتضم قصصا لآرثر ميللر وأردن شو وجون لبيدك ، والجدير بالذكر ان ثلاثهم من كتاب المسرح المعروفين .

● أصدرت دار فابر الانجليزية مجموعة قصصية بعنوان : « قصص من جنوب أتريقيا » وقد جمعها وقرأ لها الكاتب الافريقي دافيد رايت ، وتضم ١٧ قصة لكتاب من أبناء جنوب القارة . وقد علق الناقد كيث واترهاوس على المجموعة فقال ان قصصها تكاد تنحصر في أربعة موضوعات رئيسية هي : اعتزاز المستوطن القديم بنفسه ، سخرية ابن البلد الذي يعيش في المدن الكبيرة ، الاحساس بالوحدة الذي يعانيه المواطنون في مناطق الرعى ، التوتر الناتج عن التمييز العنصرى .

● يحاول بعض الكتاب الشبان ، في أمريكا لفت الانظار اليهم بتناول قصص الشذوذ الجنسى . وقد كانت آخر « عينة » لهذا الطراز قصة بعنوان : « مدينة الليل » ، وفيها تسجيل حسى لرحلة داخل عالم الشذوذ الجنسى في المدن الامريكية الكبيرة ، ومؤلفها كاتب شاب لم يتجاوز الثلاثين يدعى جون ريشى ، وقد لقي هجوما عنيفا من قبل النقاد الذين اجمعوا على ان كتابته مقززة ومكشوفة ، وانها ليست من الفن فى شىء .

حصيلة ضخمة منها ، وأن المعروف من رسائله حتى الآن يربو على ألفى رسالة ، اذ كان حريصا على الرد على كل رسالة تصله مهما يكن شأن صاحبها او مكانته . ولم يكن فى أوج شهرته يبخل على من يرسله بالنصيحة والرأى وانقد ، فقد كان بالنسبة لزملائه بمثابة المعلم والصدى ، يتقبل منهم النقد بصدر رحب ، ويبتهم نصائحه وآراءه فى أعمالهم بكل ما عرف عنه من صراحة واخلاص . هذا وقد صدر مؤخرا المجلد السابع من سلسلة « التراث الادبى » التى تنشرها الدلة فى موسكو ، ويضم نحو ٥٥٠ رسالة لجوركى لم يسبق نشرها . ونقتطف هذه الفقرة من احداها ، وقد بعث بها الى زميل له يدعى ميخائيل بريشفين بتاريخ ١١ فبراير عام ١٩٢٦ ف فيها لخص رأيه فى نفسه وفى عملين من إنتاجه .. يقول :

« فى هذا العام ، او فى العام القادم ، تحل ذكرى مرور خمسة وثلاثين عاما على اشتغالى بالكتابة ، الا اننى لا أعرف حتى الآن كيف اكتب ، فما زلت أتعلم وانى ارسل لك مع هذا كتابا آخر لى (هو اسرة ارتامونوف كما جاء فى الهامش) ، كتبته عقب صدور مجموعة قصصى ، فأرجو أن تطالعه . ذلك لأننى أحببته حين كنت اكتبه ، لكننى حين نشرته لم أستطع أن أقراه ... »

● صدرت عن دار ماك جيبون